



رابحان . . ونصف

ماذا لو كنا نشهد تحولاً أساسياً في السياسة العربية مع التهيئة لانعقاد مجلس وزراء الخارجية العرب غداً في بيروت؟ وماذا لو كان التحول في غير المكان الذي عينه سلفا إجماع المراقبين المعتمدين، اي في ما سمي "تعريب المقاومة"؟ وماذا لو كان التحول يندرج في نظرة عربية الى ما بعد التسوية تضع النقاط على الحروف، كل النقاط على كل الحروف؟ اذا كانت هذه الاسئلة، وغيرها ربما، تطرح نفسها عشية انعقاد مجلس الجامعة استثنائيا على مستوى وزراء الخارجية، خارج مقرها، فلأن التطورات التي حصلت منذ الاعلان عن هذا التدبير الاستثنائي تدفع الى تجاوز القراءة "التضامنية" التي كانت أصلا وراء قرار نقل الدورة العادية لوزراء الخارجية العرب الى بيروت. التضامن لا جدال فيه لحسن الحظ، وهو تأمين منذ الاعلان عن اجتماع بيروت، لكنه لا يشكل الرسالة الوحيدة التي سيتلقها الاطراف الخارجيون المعنيون بمآل السياسة العربية.

فبمجرد ان يلتئم غدا الوزراء العرب في السرايا الكبيرة، وحتى قبل ان يبدأوا مداولاتهم، سيتمكن احصاء أطراف عرب رابحين، او لنقل رابحين أكثر من غيرهم، باعتبار ان التضامن العربي هو في ذاته ربح للجميع. والرابحون اثنان... ونصف: مصر من جهة، والثنائي السوري - اللبناني من جهة اخرى. ليس وصف الثنائي السوري - اللبناني بأنه يشتمل، في ازاء الاجتماع - الحدث، على رابح ونصف رابح، انصياعا للتعريف الذي أعطاه قبل أشهر رئيس الحكومة الاسرائيلية ايهود باراك للمسارين المتلازمين (حتى الوحدة) حين تحدث عن مسار ونصف مسار. فهذه المرة حصة النصف ليست للبنان، والربح يأتيه، على نقيض المسار، كاملا غير منقوص، أقله عند افتتاح مجلس الجامعة.

اكثر من ذلك، يمكن القول ان الربح ليس وحده كاملا، وانما الرابح ايضا، بمعنى ان التضامن العربي مع سيادة لبنان يجنيه كل اللبنانيين، مقاومين وغير مقاومين، موالين وغير موالين، فهو متى يتجسد على هذا المستوى لا يعود حكراً لأحد، ولا سيما ان احياء هذا التضامن، بدءا بزيارة الرئيس مبارك، لم يأت، وهذا أقل ما يقال، بعد نشاط دبلوماسي بارز للحكم اللبناني. فالنشاط لم يبدأ الا في ما بعد، لا بأس فهذا ربح على ربح. أما لماذا تضطر سوريا الى الاكتفاء بنصف حصة من الربح، فهذا يعود أولا الى الفكر التبسيطي الذي يسود خطاب وكلائها المعتمدين في هذا البلد، اولئك الذين ما برحوا منذ أعوام يرددون الصيغ المعلّبة لتأكيد تطابق مطلق بين عروبة لبنان والعلاقات المميزة معها.

وكان من نتيجة هذا الاختزال ان الرجوع الى عروبة اخرى، سواء أكانت مصرية ام فلسطينية، ام حتى سعودية، صار يعد تعدياً على سوريا نفسها. هذا ما سمح بأن تفسر زيارة الرئيس مبارك على انها رسالة الى سوريا. وهذا ما سيسمح غدا بأن يفسر انعقاد مجلس الجامعة في بيروت على انه يحد من النفوذ السوري على السياسة اللبنانية ولا يهم هنا ان كان كلا التفسيرين لا يتطابقان بالضرورة مع حسابات الدبلوماسية، فالرموز هي ايضا جزء من الواقع. ولأن الرموز جزء من الدبلوماسية، فان مصر ستكون، عند لحظة التثام مجلس الجامعة، الرابح الاكبر، وربما أكثر من لبنان نفسه.



وذلك ليس فقط لأن دورة بيروت تكال حركة عربية كانت مصر المبادرة اليها، ولا لأن عودة الروح الى الجامعة العربية تعني استعادة الدبلوماسية المصرية أداة عمل أساسية، وانما لأن ما حصل بين زيارة الرئيس مبارك ومؤتمر وزراء الخارجية العرب أعاد الى القاهرة دوراً مركزياً في سياسة الشرق الاوسط وفي الرؤية الاميركية لهذه السياسة. ولعل قمة شرم الشيخ امس بين رئيس الحكومة الاسرائيلية والرئيسين مبارك وعرفات أسطع دليل على تنبه الولايات المتحدة الى ضرورة تصحيح خطأ تفاعل في الاشهر الاخيرة وتمثل في تهميش دور مصر في المسار الفلسطيني من جهة، وفي المسارين السوري واللبناني من جهة أخرى (ولأسباب أخرى). يبقى ان تثمر مصر هذه النجاحات بما يتلاءم وطموحها في "تطبيع" الجغرافيا السياسية للمنطقة بعد التسوية، والتطبيع يعني هنا اعطاء كل طرف حجمه الطبيعي فحسب.

ومن نافل القول ان هذا التثمين يمر بالضرورة عبر إحياء مؤسسة القمة العربية. فلم لا يستفاد غدا من الاحتفال بالتضامن المستعاد في دورة بيروت للانطلاق منها الى قمة القاهرة؟ عندها، لن تكون مصر فقط الراح الاكبر، وانما تعود اللاعب الأكبر. وفي ذلك ربح لأكثر من رابحين ونصف.

سمير قصير



Id-Reference	00-Pr-000396	
Media	(Support)	HC
Title		رابحان... ونصف
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		١ تنمة ١١
Date		٢٠٠٠/٣/١٠ 10/03/2000
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	حسني مبارك - ايهود باراك - ياسر عرفات
	Locations	لبنان - سوريا - مصر - اسرائيل - بيروت - القاهرة
	Dates	
	Themes	لبنان - انعقاد مجلس وزراء خارجية عرب - مسار سوري لبناني - تطبيع - قمة عربية - عرب تضامن - جامعة عربية - سياسة عربية - ديبلوماسية مصرية - شرق أوسط - مقاومة - سوريا - مصر - علاقات مميزة لبنانية سورية - قمة شرم شيخ - مسار فلسطيني - تلازم مسارين - سوريا نظام - سياسة لبنانية - وصاية سورية - نفوذ سوري لبنان
Subject		